البعث

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

— ١ —

لم يكن هناك في قرية « فيكامب » من يجهل تاريخ الأم « باتان » الحافل بألوان الشقاء ... كما لم يكن يختلف اثنان في الحكم على قسوة معاملة زوجها لها طيلة حياته

اتخذها باتان زوجة له منذ عدة سنوات حين كانت في نضارة الصبا وقد حباها القدر بقسط وافر من الجمال والجاذبية ... في حين كان هو بحاراً ماهراً عملاقاً اعتاد الذهاب إلى حانة العجوز « أوبان » لتناول أربع أو خمس كؤوس من الكحول . ولم يكن ذلك هو الحد الأعلى لملء فراغ معدته ... بل كثيراً ما ارتفع ذلك الرقم إلى ثماني أو عشر كؤوس ... ربما زادت على ذلك قليلا إذا ما كانت صفقة سيده رابحـــة . وكانت ابنة أوبان هي التي تشرف بنفسها على خـــدمة رواد الحانة الذين أسرتهم عيناها الحالكتا السواد ، وامتلكت أفئدتهم بقوامها الرائع المعشوق

ويوم جاء باتان إلى تلك الحـانة للمرة الأولى ... اكتفى بإطالة النظر إلى الفتاة في شوق وحنين وهو يشير إليها من طرف خفي . وازدادت فتنتها في عينيه حين ارتشف كأسه الأولى . .. فما كاد يأتي على الثانية حتى كان يلتهمها بعينيه في نشوة وشراهة .. واستقرت محتويات القدح الثالث في جوفه فتمتم قائلا دون أن يتم جملته : « لو كان في إمكانك فقط أيتها الآنسة ديزيريه ... »

ومع فراغ القـدح الرابع كان باتان ممسكا بثوب الفتاة وهو يحاول تقبيلها

وتصدت الكؤوس ... وا كتملت عشراً ... وحينئـذ أرسل أوبان العجوز ابنته إلى الخارج وراح هو بنفسه يشرف على خدمة البقية الباقية من زبائنه الساهرين . كان أوبان رجلاً حاذقاً لا تخفى عليه خافية ... فكان يترك ابنته تتنقل برشاقتها الافراء الزبائن حتى يستزيدوا من خمره ؛ تاركا لها مطلق الحرية في توزيع ابتساماتها الرائعة وإرسال سهام عينيها إلى أفئدة المخمورين ، وهو واثق منها كل الثقة دون أي محاولة من جانبـه لاكتشاف سر ذلك البريق الذي كان يشع من عينيها ... البريق الغامض الذي كان ينعكس في أعوارهما كلما حاولت امتحان عواطفها إزاء رجل من زبائن الحانة

وأصبح وجه ديزيريه مألوفاً لدى باتان من طول تردده على حانة أوبان ... فكان يراها ماثلة أمامه وهو في موكب صيده ناشراً شباكه في المياه الهادئة أو الصاخبة على حد سواء ... أو كان يتخيلها ترنو إليه في حلكة الليل الساجي ، أو تحت ضوء القمر الفضي الساهر ... فكان يطيل التفكير فيهـا ... وكم كان يهنأ بذلك التفكير وهو في جلسته عند مؤخرة المركب ، ويده مستقرة على سكانه ... بينما ارتكزت رؤوس بحارته الأربعة على أيديهم وقد راحوا تحت تأثير نومة استسلام هادىء لتنبذ بعد إجهادهم اليومي المرهق ... وفي كل تلك الحالات التي كان يتخيلها فيها ... كان يراها تبتسم إليه وهي ترفع يدها لتملأ كأسه بالرحيق الملون هامسة وهي تتأهب للابتعاد عنه :

— أليس ذلك هو كل ما تطلب ؟

وأحس أخيراً أنها أصبحت تشغل حيز تفكيره كله ... فلم يستطع كبت تلك الرغبـة التي كانت تلح عليـه في أن يتخذها حليلة له ، وطلب يدها من أبيها

وأجيب باتان إلى مطلبه : فقد كان يمتلك مركباً وشباكا ، علاوة على منزل بالقرب من الميناء ... في حين كان أوبان العجوز لا يمتلك شيئاً ... وتمت ممدات الزفاف دون تأخير

وانقضت ثلاثة أيام استيقظ بعدها باتان من الحلم الذي كان يعيش فيـه ، وهو يعجب كيف أنه اعتقد يوماً أن تلك الفتـاة ديزيريه تختلف في شيء عن غيرها من النساء . وابتدأ ينعت نفسه بالجنون ، ويعيب عليها ضعفها وخضوعها لذلك القيد الذي

قيدت نفسها به ... القيد الأبدى الذى استسلم إليه تحت تأثير الخمر ... نعم ! لقد كانت الخمر هى السبب فى ذلك الزواج ... الخمر التى كان يعتقد اعتقاداً جازماً أن الفتاة قد مزجتها ببعض المقاقير السحرية للايقاع به

ولم يكف بانان عن سب نفسه طوال ذلك الوقت ... وما كاد يصل إلى ذلك الحد من التفكير حتى أتى فضلات التبغ المتبقية فى غليونه ؛ وراح ينقل أسماكه الواحدة إثر الأخرى ، وهو يتمتم غاضباً

وعندما بلغ منزله وجد زوجته — ابنة أربان المجوز — قابعة هناك كعادتها . فلم يحيها بحرف . بل راح يكيل لها ألفاظ السباب الحادة ... فقابلتها الفتاة بأحد منها ، إذ كانت طيبة والدها الهمجية متأصلة فيها . وكان ذلك مما يزيد فى غضب زوجها وإيلامه . ولكن تلك الآلام لم تبلغ الذروة إلا فى تلك الليلة التى اعتدى عليها فيها بالضرب

وخلال السنوات العشر التى تعاقبت بعدئذ .. لم يكن هناك من حديث يدور بين أهل الميناء إلا عن تلك المعاملة القاسية التى كان يتبعها بانان مع زوجـــه ، لا لشئ إلا لأنه كان موهوباً بالسليقة بالهجـــة فى سبابه لم يكن هناك فى فيكامب من يضارعـه فيها

وعاشت المرأة المسكينة فى جو من الخوف والرعب عشر سنوات كاملة اعتادت أثناءها الوحدة والسكون ، عشر سنوات كاملة كان فيها الكفاية لتجعل منها هيكلا هزيلا يشبه هيكل سمكة صغيرة جافة

— ٢ —

استيقظت المرأة فجأة ذات ليلة على صوت أنين الرياح وهمهمة رياح البحر .. فجلست على فراشها وراحت أفكارها تتجمع فى نقطة واحدة حتى تركزت فى ذكرى زوجها الغائب فى مركبه وسط ذلك البحر الثـــائر ، وسكن الصوت . . فاستلقت على فراشها ولكنها لم تكد تغمض عينيها حتى هبت فزعة وقد روعها صوت العاصفة ، وقفزت من الفراش ثم هرولت نحو الميناء التى كانت قد امتلأت بجموع النساء وقد حملن فى أيديهن المصابيح يرين بها الطريق للرجال الذين هرعوا بدورهم إلى هناك لمحاولة نجدة من يحتاج إليهم من الصائدين . . وظلوا محدقين فى المياه السوداء الممتدة أمامهم فى جلال وروعة وقد بدت أشباح مراكب الصيد الصغيرة وهى ترتفع وتنخفض فوق الأمواج الصاخبة ، ودامت العاصفة خمس عشرة ساعة

وكان من نتيجة ثورة الطبيعة أن أحد عشر صلنديا قدر عليهم ألا يعودوا إلى منازلهم أبدا . . وكان بانان من بينهم

وقذفت الأمواج بحطام سفينة بانان « أميلى السفراء » إلى أحضان شاطئ « سان فالبرى » ولكنها لم تظهر أى أثر لجسد بانان

كان من الممكن أن يكون قد أصبح طعاما للأسماك . . . كما كان من الممكن أن يكون قد انتشل من المياه وأبحر مع منقذيه إلى حيث يقصدون

وعودت المرأة نفسها أن تحيا حياة الأرملة . . ولكنها إلى جانب ذلك لم تكن تقلع عن استقبال سائل أو مسافر أو بحار داخل مخدعها

وانقضت أربعة أعوام على اختفاء رجلها

ومالت الشمس إلى المغيب . . وهبت نسمات باردة تنذر باقتراب الليل . . وفزعت الأطيار إلى أوكارها . . فى حين كانت المرأة تسير فى شارع « اليهود » وقد لفت نظرها منزل قبطان مجوز .. كان يقف ببابه « دلال » ينادى على أثاث المنزل لبيعه .. وفى تلك اللحظة كان الرجل ممسكا بقفص قد استقر فيه ببغاء وهو يهتف :

— ثلاثة فرنكات .. طائر يتكلم كرجل القانون .. فقط ثلاثة فرنكات

وتحدث ديزيريه لصديق كان يتأبط ذراعها :

— يجب عليك شراؤه فسيكون لك نعم السمير . إننى واثقة من أن ذلك الطائر يساوى ثلاثين فرنكا ثقى من أنك تستطيع بيعه ثانية بعشرين أو خمسة وعشرين فرنكا

وارتفع صوت الدلال مرة أخرى قائلا :

هيا .. أربعة فرنكات أيها السادة .. أربعة فرنكات .. إنه يستطيع الترتيل ، فياله من أعجوبة نادرة . وأخيرا . . انتقلت ملكية الببغاء وقفصه لديزيريه بعد أن رفعت ثمنه لأربعة فرنكات وخمسين سنتيما

وتمتمت المرأة قائلة بغضب لما رأت نقطة من الدماء تلوث يدها حين لامست رقبته وهي تضع له شيئا من الطعام في حجرتها

— يا لله .. لم أكن أعلم أنه جريح

وتوجهت إلى فراشها بعد أن وضعت للطائر شيئا من الطعام وإناء صغيراً مملوءاً بالماء

ولم تكن أنوار الفجر الوردية قد بدت بعد ، حين تعالى إلى أذني مدام پاتان صوت واضح جلي يقول :

— ألم تستيقظي بعد أيتها النكودة ؟

لقد رجع زوجها أخيراً .. فذلك الصوت صوته وتلك عادته في مناداتها إذا ما استيقظ في الصباح . وأحست رعشة تسري في عروقها فدفنت وجهها تحت الوسادة بينما راح جسدها يرتجف ارتجافا واضحا وهي تتمتم قائلة لنفسها :

— يا إله السموات . . لقد رجع ثانية وها هو ذا . . يالله

ومرت بضع دقائق دون أن يمكر صفو السكون الشامل صوت .. فأخرجت رأسها من تحت الوسادة ، كانت متأكدة من وجوده بالقرب منها يرقبها وهو على أتم استعداد للانهيال عليها بالضرب كما كان في الماضي البعيد .. ولكنها لم تر شيئاً غير أشعة الشمس التي ابتدأت تخترق زجاج النافذة ، فهمست قائلة لنفسها :

— لا بد أن يكون مختفيا في مكان ما

وظلت تنتظر .. وطال انتظارها فعاودها بعض هدوئها وغمغمت :

— إنني لم أره ... إذاً ... لا بد أنني كنت أهيم في وادي الأحلام

وأغمضت عينيها مرة أخرى في اللحظة التي ارتفع فيها صوت پاتان كالرعد قائلا :

ألا زلت نائمة أيتها الملعونة ؟

وقفزت من فراشها وقد انتابها فزع المرأة الطيعة التي ظلت أربعة أعوام كاملة وهي ترزح تحت عبء الذكرى الأليمة .. ذكرى العذاب الذي كان يسببه لها صوت ذلك الرجل الكريه ... وهتفت:

— ها أنا ذي يا پاتان .. ماذا تريد ؟

ولم يكن هناك من جواب

وتلفتت حولها في دهشة .. ثم أخذت تبحث في كل مكان.. ولكنها لم تجد أحداً . . وتهالكت على مقعد بالقرب منها وهي تحس بروح پاتان ترفرف فوق رأسها .. وأخيراً تذكرت الحجرة الصغيرة الإضافية الواقعة فوق حجرة الطعام .. لا بد أن يكون مختبئا هناك في انتظار مفاجأتها . . ثم . . ثم العودة إلى إلى نفس الحياة القاسية التي كانت تحياها من قبل .. ونظرت إلى سقف الغرفة وهي تقول متسائلة

— هل أنت فوق يا پاتان ؟

ولم يكن هناك من جواب

وتسللت إلى الخارج فأحضرت سلماً تسلقته ونظرت في الحجرة الصغيرة لترى . . لتراه . . ولكنها لم تعثر عليه . . فجلست على الأرض وابتدأت تبكي وهي ترتعد . ومن أسفل جاءها صوت پاتان يقول :

— أي جو وأي رياح ..؟ إنني لم أتناول وجبة الصباح بعد

وصرخت المرأة من أعلى قائلة :

— إنني هنا يا پاتان . . ها أنا ذي في طريقي إليك لإعداد طعامك فلا تغضب .. ها أنا ذي آتية . وهبطت السلم بسرعة فائقة . ولكنها لم تجد أحداً بانتظارها

وأحست بضعف عميق يغمرها من رأسها لأخمص قدميها . وفكرت في أن تهرع إلى الخارج مستغيثة حين ارتفع صوت پاتان قائلا :

— إنني لم أتناول طعامي بعد أيتها الـ...

كان البيغاء في قفصه يتابع كلماته ، وهو يحدق فيها بعينين كجمرتين

ونظرت إليه والدهشة تغمرها ثم تمتمت :

— إذا ... إنه أنت . وتكلم البيغاء ثانية وهو يحرك رأسه

انتظري .. انتظري قليلا .. فسألقي عليك درساً لتكوني أشد كيسا منك الآن

أي أحاسيس شعرت بها المرأة في تلك اللحظة ؟ لقد شعرت تماماً أن الرجل الميت قد بعث مرة أخرى . . بعث حيا في هيئة ذلك البيغاء

إذا... سيعود مرة أخرى لإهانتها ... كما كان في الماضي.. وسوف لا يمر يوم بهدوء . . وجيرانها ... سيعودون حتما للهزء بها والسخرية منها

وأسرعت المرأة نحو القفص ففتحته وأخرجت الطائر الذي راح يدافع عن نفسه بمخالبه فيدمي يديها . . ولكنها لم تعبأ به . . وتهالكت فوقه على أرض الغرفة . . وراحت بكل قواها تضغط على رقبته حتى سكنت حركته

لم يعد يتحرك ، لم يعد يتكلم . ولكنه كان مستكينا استكانة الأبد بين ذراعيها . وجمت الريشات الخضراء المتناثرة هنا وهناك بيد مرتجفة ووضعتها مع الجسد المسجي على الأرض في لفافة صغيرة ... ثم هرولت إلى الخارج حافية القدمين . . وقذفت بالحزمة الحاوية لا . . . للشيء الميت في مياه البحر الهادئة . . . فبدت كحزمة من البرسيم الأخضر طافية فوق المياه الزرقاء

وعادت إلى حجرتها فركعت على ركبتيها أمام قفص الطائر الميت .. وراحت تبكي

كانت تشعر أنها ارتكبت إثما . . إنما هائلا كأكبر الجنايات وحشية . . فابتدأت تدعو الله أن يغفر لها !

ع . ج

ظهرت

الطبعة الجديدة

من كتاب

الثمن ٢٥ قرشاً

الثمن ٢٥ قرشاً

مختارات من الأدب الفرنسي

شعر ونثر

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد الفريدة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها

يطلب من إدارة الرسالة ٨١ شارع السلطان حسين بعابدين

تليفون ٤٢٣٩٠

الجزء الثالث من

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

والقصص

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق سفيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

ليكن في علم الجمهور أنه طبقاً لنصوص عقد الاشتراك لا يجوز استعمال التليفون لغير المشترك ومستخدميه وعائلته إلا إذا حصل على تصريح كتابي من المصلحة وعليه أن يلصق في مكان ظاهر صورة من هذا التصريح بجوار المدة التليفونية لاطلاع من يهمه الاطلاع عليه من الجمهور ومندوبي المصلحة

فالرجاء ممن يرغبون من حضرات المشتركين الحصول على التصريح المشار إليه أن يتقدم المصلحة بطلب كتابي للنظر في أمر إعطائه التصريح الخاص باستعمال التليفون للجمهور حتى لا تضطر المصلحة لتطبيق نص البندين ١٦ و ١٩ من عقد الاشتراك

المدير العام

سيد عبد الواحد

مطبعة الرسالة